

الملاك الاول

(تابع ما قبله)

لن الحزن والاهتمام والخوف من اشد اعداء الحياة البشرية . فويل للانسان الذي تستلم نفسه لليأس ولا ترى امامها وسيلة تخرج بها من الضنك . فهو ليس الا عبارة عن شخص مقعد لاحرك يد ينظر الى العالم ولا يرى فيه الا ظلاماً دامساً وخراباً بليغاً . تضييق يد الدنيا على انعامها وحبها تفرّد له العماقير وتصفق له اوراق الشجر وترنن اغصانها وتشرق الشمس ويطلع القمر حيناً حيناً كل ما تقبل له الطبيعة . فيجب علينا اذا ان تعجب كل الاسباب التي من شأنها جلب المحوم وازعاج العقول كما تعجب التجارب الموصلة الى الجريمة

لا شك في ان العقل قوة في إطالة طور الشباب وازدياد رونق الفتوة وحفظ الجسم في غزو ورواد مادام معتمداً بالاعتدال . ألم يقل شكبير « القلب الطيب البيح يعيش طويلاً » ؟

الرجل السعيد هو الذي حصل على سر استدرار المسرات من كل الاحوال المحيطة به . المرأة السعيدة هي التي تبتهج كيفما كانت الاحوال هي التي لا تحرم نفسها من هذه السعادة في التسويف والتطاول نحو التقي والسفر والعلم والملاذات التي ربما لا تعمل اليها مطلقاً بل هي التي تستدر من كل ما يحيط بها سروراً ولدّة وتبتهج اليوم بقطع النظر عما سيجيء الخد . وقد نظر بولس الرسول الى هذا الامر في قوله « افرحوا في كل حين »

قال غلادستون السيلي الشهير وقد كان اولي من غيرهم بالاهتمام « لا اذكر اني قضيت ساعة واحدة من ساعات نوحى بالاهتمام بما مضى او بما سيكون » فقد عرّد نفسه منذ الصغر ان ينظر الى كل الامر بين السرور وطول اليال . هذه هي الحياة الجامعة بين العقل والاجهاج فطوري لمن كان كذلك فانه يستعد للدين معه وصعيد هو الذي يعيش ويزيد الاتراح سببه انكون . اذا كنت راجها المرأة تهتمين بالجمال وتودين الحصول عليه فاشغلي نفسك بجعل كل من حولك سعيداً فرحاً . أمهم بكلامك وبضحكك وبانسانتك وبتلاصك . لا تنسي ان اللطفك تأثيراً شديداً في الكون واعلمي ان الكلمات اللطيفة التي ينطق بها ذو الوجه البشوش اطيب من العمل شبيهة للنفس وصحة للعظام

اذا تقطب وجهك صارت اثاره علقاً فيصبح كل كلامك بلائاً قارصاً فينتج المشاجرات الصغيرة والانتقاد الحاد وهذا ما يكدر صفاء اكثر يوتنا ويوجب عتاً كل سعادة . عبثي للغير ولاصدام اكتبي اسمك بشعاع الابتهاج في قلوب كل من تعاشر بهم فتعظي لنفسك .
تثلاً للفضيلة لا يجوه كرور الايام وتسطع اعمالك واذا والك طى الارض كما تسطع النجوم في السماء

وانت ايها الرجل لا تمتع عن مدح امرأتك حيناً تاتيک بما هو حسن فانك تشجبها وتفودها الى ما هو احسن وانت ايها المرأة لا تترودي في مدح ولدك حيناً يفعل الفضيلة فانك تحبين اليه ما هو اسنى وافضل . اخال كثيرين يقولون معي يا ليتنا نرى ما تمننا ونحن احياء . تموت المرأة فيقوم زوجها يوبئها باحسن الآيات ويكب السمع دماً على نساها مدواً حسناها وقد لا يذكر سيئة واحدة من سيئاتها فلو فعل ذلك مدة حياتها لأطال ايامه واياها نغدمت باكثر امانته واشده حرص . لو بش بوجبهها واعتبر الامور الطفيفة التي كانت تعملها حياً لارضائه وتماضى عن انتقادها على كل امر طفيف لكان اسعد نفسه واسعداها وأطال أمده وأمدها

اجها المهذبة

ابنتا الوالدة على الاولاد ان يستدروا سروراً من كل حاجة وان يظفروا الوجه اللامع من كل حادثة . اذا وقع الولد وصدع رجله فخالاً حولي انتباهه الى ما هو سار ولا تدعيه بهتم طويلاً بالذي اصابه . اعصاب الصغار لا تزال غضة فعمل بها المؤثرات الخارجية فيهون عليك اذ ذاك تكيف حواظهم وتعيدم الابتهاج والبشاشة فانه يصبم عليك تكوين هذه الخلة في الشباب ولزجما يستحيل تكوينها في الكهولة والشيوخة . قولي لولدك الذي صدع رجله كن شكوراً يا ولدي لان رجلك لم تنكسر كما اصاب رفيقك ابن جارتنا الشهر الماضي . واذا اصاب عينه لظمة البجة قولي له متشني لربيا واشكر الله يا ولدي كما انا اشكره لانك لم تفقد عينك كما اصاب ذلك الولد الذي يمر من جنب بيتنا فتنادي الاولاد يا اعور . فعليك اجها المهذبة مسؤولة كبيرة وكما تهتمين بتعليم الاولاد الموسيقى والشعر والتصوير وغيرها من الفنون الجميلة يجب عليك ان تعلمي فيهم هذه الخلة خلة السرور وتعليمهم ان يتجنبوا المم والاهتمام كما يجنبون المرض

قال احد الفلاسفة كن سعيداً تكن صالحاً فاذا كان الاهتمام عادة فيبيحة فعلينا بجاريتي بكل قوتنا وتفرين ذواتنا على الابتهاج والضحك ايضاً

فاحسبوا واحزلوا بعض الاخيان ولماذا ؟

لو عرف البشر ما للضحك من الامة في حفظ الصحة وامالة الحياة لانتشمت غيوم المسموم عن الناس وجاع الاطباء . فالضحك ثمر اعضاء الحضم على الحركة وفي نفس الوقت تحصيل على سرور وانتعاش فكلا ضحكنا يحدث ارتجاج واعتزاز في الاعضاء المنضبة تسرع في عملها ويمرر الدم بسرعة في الاوعية الدموية فيتشعش الجسم وتبرق العينات فيتح الصدر الذي منه يخرج الهواء الفاسد ومن ثم يدخل الهواء النقي فيجزي الرئتان

قال الدكتور بئر المختبر الشهير والعالم المتفنن في الامراض العصبية « ان الضحك القلبي هو احسن دواء للامراض العقلية . فاينما ينكر فعله المتش في ليل مزعج او ضيق محزن او فكر مقلق » ؟

يحكم طبنا الازيادة هذه الايام بان الاقسام اذا وصل الى حد الضحك كان في السيدات المنهذبات حياً . ولكن لما كانت تلك الحلاكة الظالمة تنتقل النساء بشدة الحصور وضرر في الصدور لمهواه الحصور وضغط ارجلهن في الصين بقوالب من حديد غيرت تاييديه ونبتت حكامها وانتمت الى تفر من البشر تشبه عليها الطيبة وهي الحلاكة العادلة بان الضحك من اقيد الامور في تندية عقل الانسان وجسمه

حفظ لكوني في خزانة كتبه بعض اقوال وردايات صغيرة هزلية كان يلجج اليها في اوقات الجدة وتصدق المسائل السياسية فكان يقرب في الضحك عند قراءتها فتعمل تلك العقدة بسهولة غريبة ويمود الى عملها لرحمة تليطاً . وقال بعضهم في كتاب الى صديق له « لولا المزمل الذي يفتل اوقات الجدة والعمل لكنت امرت لا عمالة »

فاني الناس لم يسمع او لم يقرأ شيئاً عن مارك توين الكاتب المصري الذي اشتهر برواياته المزلية اغالية من الجورن وكيف كالت الناس تحلف حولة وتيجل مقامه اقراراً بتأثير فكاهه وهزلياته التي كثيراً ما زينت المجالس في اميركا واوروبا واتحكمت ملوكاً على عروشها . مات في غضون هذه السنة وقد عدت الجزائر وفاته خسارة جسيمة على عالم الكتابة والعلم واثبت المتططف ترجمته في المجلد السادس والثلاثين من هذه السنة . فقد اسعد هذا الرجل الوقت بحياته وسنسر كتاباته جاهيز من القراء بعد مماته

قبل الختام اعود اليك واكثر شخصياً ابها المرأة . ولماذا ؟ قد ذكرت السبب في اول كلامي وسازيد عليه كلاماً ليس باقل اهمية وهو انك انت محور السعادة في الكون مهذبة

الجبل التالي ملكة البيت ومدبرة شؤونه . فاذا كنت لا تقدرين ان تجعلي ينك مشرقاً
 مهبجاً ساء اولي يكون علياً لزوجك من الاعمال وملاذاً يلوذ به من الاتعاب العالمة فمكن
 هو رجليك فهو بالحقيقة بدون مأوى - عالم الرجل ملائ من رياح القدر والفتن والطمع
 ومن آفات الغرم والرداءة التي تهب وتشر في كل مجتمع انساني فاذا لم تكن الباشاة سائدة
 بين جدران ينك لكأنه يستجير من الرمضاء بالنار « ويهرب من الدلف الي تحت المزاراب »
 سر نجاحك معقود بتسمية نفسك فوجهك لا يكون بشرفاً ان لم تكن عواطفك
 الداخلية شريفة تقية . كل عاطفة فيك اما ان تزيدك جمالاً واما ان توليك شناعة لان كل
 ما تملينه او تتوليه لا يجي بل يترك تأثيراً في الساع والنفس فلا بد من ان تكوني
 مسرورة في الداخل لكي تكوني جميلة بشوشة في الخارج

الاهتمام والتهيج والشراعة والياس هي ذات تأثير شديد فيك لا بل هي مم قائل
 لجسك . اذا لا سمح الله رفر القتر فوق ينك واصبح طارياً من كل لامع يهر وثمن
 يجب فلا تنادي بالويل والبور ولا تظني وجهك فتحرمي نفسك وذويك من كل سعادة
 بل اجتهدي ان تعوض عن المقصود بلطفك وضربة كلامك . وعندما يجمل لك ان الشقاء
 ضارب اطباءه من كل جهة عليك وليس لديك من قوة تقاومه فاكسي برداء القناعة ولا
 تحقري فيحيي بل انمضي نهارض واخرجي الي الطبيعة اجلي نظرك في الارض اولاً ثم
 حلقي به الي عنان السماء ثانياً حيث تنبعث اليك شرارات من الوسي الالهي فتربك
 ان الله قد كسا الارض بحلة زاهية من اجلك . وعلم المصانير ان تغرد بانضمامها
 الشبية كي تطربك . سترين ان الكون باسمه بيسم لك فيجمل لك ان الجو اكثر صفاء
 من العناد وثوب الارض اشد خضرة وان الاشجار اكثر غضاضة والازهار ازركي عطراً
 وان الهواء اطيب وانس وان المصانير اعذب تفريداً فالحياة عظيمة وما الله ! ! ما اجل
 ان تقفي عينك في الصباح وتظري الي كل هذه الامور لتستشي الهواء النقي وتشمي
 بالقبالة الطالعة . لشعري ان نبضك يضرب واعصابك شديدة حية . فببك ان
 الحياة كلها لك والعالم لك . وكل ما فيه جميل . فالسما والملائكة هي هنا وعندنا والاً
 فلا وجود لها على الاملاق